الفصل العاشر

سعيد السيد بدير

حب مصر

حب ذلك الوطن الذى ينمو مع كل شهيق

ويزهر مع كل شعاع ضوء

حبا لا يمكن ولا يجب مقارنته بحب غيره من الأوطان

سعيد بدير

هو «سعيد السيد بدير»، إبن مصر، الذى زاحم بعمله الأقمار الصناعية فى الفضاء، هو الذى أوصلته عقليته الفذة إلى القدرة على التحكم فيما يسمى حرب الفضاء، تلك الحرب التى كانت حكرا على دولا بعينها، اعتبرتها الملاذ الأخير للسيطرة على باقى دول العالم، فهل يُترك عالما مصريا يقف حجر عقبة فى هذا السبيل؛ عالم مصرى، وضع هدفا، عالم مصرى أصر على أن يضع مصر فى مجال الصواريخ والأقمار الصناعية، ندا لند مع أكبر الدول وأكثرها إمكانيات مادية وعلمية، هدف لأن ترفع مصر رايتها ورأسها أمام من يهددها بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

دفع حياته مقابل رفعة مصر، قتل المهندس عقيد «سعيد سيد بدير».

مولده:

فى روض الفرج، ذلك الحى الشعبى الأصيل بقاهرة المعز القاهرة، حيث يوجد أكبر سوق تجارى بالعاصمة، الأمر الذى أدى لوجود خليط من أبناء مصر فى هذا الحى، أهل

الصعيد، أهل الريف، أهل السواحل، إضافة إلى من ذاب فى المدن فأصبحت له أهلا، هذا الخليط الثقافى المبدع الخلاق، حيث يعيش الفنان «سيد بدير»، الذى استطاع أن يعبر عن كل طبقات الشعب، كل فئات الشعب المصرى، بعاداتهم وتقاليدهم، بل وأسلوب حياتهم وكلماتهم الشائعة، فكان فنه صادقا، فقد قام «السيد بدير» بكتابة الكثير من السيناريوهات والحوارات لعدد من الأفلام، إضافة إلى قيامه بالعديد من الأدوار فى أفلام أخرى، فكان من رواد الفن الذين قدموا لمصر الكثير، لتصل مصر بفنها إلى ريادة الدول العربية، من خلال صدق فنانيها فى العطاء[١٠١].

و«السيد بدير» لم يقدم فنه فقط لمصر، بل قدم لها شهيدين من أبنائه، ففى القاهرة وفى الحادى عشر من يناير ١٩١٥ ولد الفنان «السيد بدير»، وكان والده مدرساً للتربية البدنية بمدرسة رقى المعارف الثانوية بجزيرة بدران بشبرا، انضم «بدير» لفريق التمثيل بالمدرسة، وكان يعد من رواد الإذاعة والمسرح والسينما ممثلاً وإذاعياً ومخرجاً وكاتباً للسيناريو، وقد حصل على البكالوريا عام ١٩٣٢ ودرس الطب البيطرى، ولكنه تركها كمهنة، واتجه للفن، وبدأ مسيرته السينمائية عام ١٩٣٦ عندما أسند إليه دوراً صغيراً فى فيلم (تيتا) ثم تبعه بفيلم (شىء من لا شىء) فكانت هذه الأدوار الصغيرة بمثابة الإعلان عن مواهبه التى اكتشفها لاحقاً «صلاح أبو سيف»

١٠١ ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

فطلب منه أن يكتب له سيناريو وحوار أول أفلامه (دائما فى قلبى)، وفى ١٩٤٩ أسند إليه المخرج «عباس كامل» شخصية «عبد الموجود» ابن كبير الرحيمية قبلى، ثم اتجه إلى الإخراج المسرحى فى الخمسينيات، وعمل مستشاراً فى الإذاعة والتليفزيون، وتولى إدارة الهيئة العامة للسينما والمسرح، ومن مسرحياته «حبيبى كوكو، ومراتى قمر صناعى، والزوج العاشر»، وكان «بدير» قد تزوج مرتين الأولى من ابنة عمه وأنجب منها ٣ أولاد وبنتين، منهم عالمنا الدكتور «سعيد السيد بدير»، ثم من الفنانة شريفة فاضل وأنجب منها ولدين استشهد أحدهما فى حرب ٧٣، حظى «السيد بدير» بالكثير من مظاهر التقدير كمؤلف وكاتب سيناريو، ومنها جوائز عن مجموعة سيناريوهات أفلام «أنا حرة» و«جعلونى مجرما»، ووسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى فى ١٩٧٥، وقد أخرج حوالى ٢٥ فيلماً منها «عمالقة البحار» و«الزوجة العذراء» و«أم رتيبة»، وكان آخر فيلم شارك فيه بالتمثيل فى ١٩٨٠ فيلم «عمل إيه الحب فى بابا» إلى أن توفى فى ٣٠ أغسطس ١٩٨٦[١٠٢].

وقد يبدو للحظة أن ما يقوم به «السيد بدير» ليس له علاقة بالعلم، بل على العكس فنرى أن مثل هذه المهنة، والتى تتطلب الكثير والكثير من البحث فى عادات وتقاليد الأفراد، والجماعات، البحث فى سلوكيات أصحاب المهن المختلفة حتى يتمكن من كتابة سيناريو يخصهم، أو القيام بأحد أدوارهم، كل

١٠٢ المصرى اليوم: ماهر حسن، الإثنين ٢٩ أغسطس ٢٠١١

هذه الأساليب فى البحث، كانت ما ورثه أبناؤه عنه، كل هذه الدقة فى الوصول إلى كنه الشخصية، كان هو ما ورثه أبناؤه، كل هذا التفانى فى البحث كان ما ورثه، أبناؤه، وخصوصا عالمنا الدكتور «سعيد بدير».

فى يوم الثلاثاء الموافق الرابع من يناير ١٩٤٩، أنعم الله على «السيد بدير» بمولود، أنعم الله عليه «بسعيد السيد بدير»، لينشأ ويترعرع فى تلك المنطقة المصرية الأصيلة، ويشرب من نبع أهل مصر تلك القيم والتقاليد، والأكثر من ذلك ليتغذى على حب مصر، حب ذلك الوطن الذى ينمو مع كل شهيق، ويزهر مع كل شعاع ضوء، حبا لا يمكن ولا يجب مقارنته بحب غيره من الأوطان[١٠٣].

تعليمه:

لم تكن سعادة الفنان «سيد بدير» بابنه «سعيد» لأنه كان أصغر أبنائه سنا فحسب، بل لأنه فى سنواته الأولى بدا فائق الذكاء، وكلما كبر ازداد ذكاءً، حتى إن أصدقاؤه فى المدرسة الثانوية قالوا عنه إنه كتلة من الذكاء تتحرك على الأرض.

فى الثانوية العامة كان «سعيد بدير» الثانى على مستوى الجمهورية بمجموع خمسة وتسعين فى المائة[١٠٤]، وقد اختار

١٠٣ أبو محمد المصرى، جوجل.

104 http://captaintarekdreams.blogspot.com/

الكلية الفنية العسكرية، واجتاز اختباراتها بسهولة، وظل الخط البيانى له فى ارتفاع حتى أصبح معيداً فى الكلية الفنية العسكرية عام ١٩٧٢، ثم مدرساً مساعداً فى الكلية نفسها، ثم مدرساً فيها عام ١٩٨١.

وهو أول من حصل على درجة الماجستير فى الهندسة الكهربائية من الكلية الفنية العسكرية، هذا بالإضافة إلى درجة الدكتوراه فى الهندسة الإلكترونية من جامعة «كنت» بإنجلترا وتم ترشيحه لجائزة الدولة التشجيعية.

توالت إنجازاته العلمية، حتى قيل إنه «يضع يده فى الحديد فيتحوّل ذهباً»، وتحول «سعيد» من مدرس بالفنية العسكرية إلى رئيس قسم الموجات والهوائيات فى إدارة البحوث والتطويرات فى قيادة القوات الجوية[١٠٥].

سافر ليكمل تعليمه ويعمل كأستاذ زائر فى جامعة «دويسبرج» فى ألمانيا الغربية، وكانت مدة العقد سنتين تبدأ فى ١٩٨٧، وتحول «سعيد» بسرعة إلى اسم لامع فى المحافل الدولية.

إنجازاته العلمية:

تخصص العالم «سعيد بدير» فى أبحاث الأقمار الصناعية فى الجامعة الألمانية التى تعاقد معها لإجراء أبحاثه طوال عامين، وكان مجال الدكتور «سعيد» يتلخص فى أمرين:

١٠٥ سحر عيسى: جوجل.

١. التحكم فى المدة الزمنية منذ بدء إطلاق القمر الصناعى إلى الفضاء ومدى المدة المستغرقة لانفصال القمر الصناعى عن الصاروخ.

٢. التحكم فى المعلومات المرسلة من القمر الصناعى إلى مركز المعلومات فى الأرض سواء أكان قمر تجسس أو قمراً استكشافياً[١٠٦].

وكانت أبحاثه ونتائجها فى هذه المجالات هى ما أهله لاحتلال المرتبة الثالثة على مستوى ثلاثة عشرة عالما فى حقل تخصصه النادر فى الهندسة التكنولوجية الخاصة بالصواريخ[١٠٧].

وبذلك يعد «سعيد بدير» ثالث العلماء على مستوى العالم فى مجال الميكروويف والاتصالات الفضائية.

بدأ فى ألمانيا إجراء تجارب علمية على مشروع خاص باسم ٢٥٤، يتعلّق بالهوائيات والاتصال بالفضاء وإمكان التشويش على سفن الفضاء الأميركية[١٠٨]. وهو أمرا قد يزعج السلطات فى البيت الأبيض أو لا يزعجها، يتوقف الأمر على مدى إمكانية علماء الولايات المتحدة فى تفادى ما يصبوا إليه «بدير»، ولكن عرض «ناسا» الأميركية الذى تم تقديمه لبدير للعمل هناك مقابل مبلغ خيالى، إضافة للحصول على الجنسية

106 http://www.esgmarkets.com
107 http://www.arabic-military.com/
108 http://mawhopon.net/ver_ar

الأميركية كان دلالة على فارق المستوى العلمى بين عقلية «بدير» وعقلية علماء الولايات المتحدة الأمريكية، بدير العالم المصرى رفض، فعلمه ليس للبيع، علمه لرفعة مصر، رفض «سعيد بدير» العرض المقدم له حباً فى مصر.

وعندما علم بذلك الرئيس المصرى حسنى مبارك عينه مستشاراً له فى مجاله[١٠٩].

اغتياله:

لم تشترك فقط كل الروايات فى تفاصيل عملية الاغتيال، بل اتفقت أيضا فى أسبابه، فقد أجمع كل من روى الحادثة على استبعاد احتمالية الانتحار، فما كان عالما مثل «سعيد بدير» هو من يقدم على الانتحار، فما كان ممن وصل بعلمه إلى هذا المستوى، وذاعت شهرته فى كل المحافل العلمية العالمية، وتسابقت الجامعات الكبرى على استضافته أن ينتحر، ما من سبب للانتحار، كما أن ما قد وجد فى مكان الاغتيال من بدايات تقارير لأبحاث تدل على أنه كان مشغولا بفكر علمى، وهذا يجعل العالم متفرغا تماما لبحثه، ومعزولا عن الانشغال بغيره من الأمور حتى وإن كان انتحارا.

فى ١٣ يوليو عام ١٩٨٩ تلقى قسم شرطة باب شرق فى الإسكندرية، بلاغا عن سقوط شخص من عقار فى شارع طيبة بكامب شيزار.

١٠٩ دكتور سمير محمود قديح: باحث فى الشئون الأمنية والإستراتيجية

فقد كان أحد سكان العمارة رقم (٢٠) بشارع طيبة بالإسكندرية، يفكر فى المصدر الذى يجىء منه رائحة الغاز التى انتشرت فى العقار حين سمع صوت ارتطام شديد بأرض الشارع، أسرع الساكن إلى النافذة ليرى مشهدا مروعا جثة شخص فى الأربعينات ملقاة على الأرض والدماء تنزف من رأسه، فيسرع للاتصال تلفونيا بشرطة النجدة التى وصلت فى الحال لمكان الحادث، وبدءوا فى سؤال سكان العمارة والشارع أيضا عن شخصية القتيل، ولكن أحد لم يجب فقد كان القتيل غريبا عن الحى كله، وبسرعة تتوصل تحريات رجال الشرطة إلى شخصية الضحية، إنه الدكتور «سعيد السيد بدير» الذى جاء بالأمس إلى شقة شقيقه سامح بالطابق الرابع من العمارة رقم ٢٠، يسرع رجال الشرطة إلى الشقة ليجدوا أمامهم التالى:

- أنبوبة بوتاجاز فى غرفة النوم!!
- بقعة دم واحدة على مخدة سرير النوم[١١٠]

ثم جاء تقرير الطبيب الشرعى وكذلك تحقيقات النيابة تؤكد أن القضية مجرد انتحار وذلك لأن الجميع لم يكن يعرف عن الضحية سوى أنه ابن الفنان الراحل «السيد بدير»، وخرجت الصحف فى اليوم التالى للحادث الموافق ١٨ يوليو ١٩٨٩ بخبر الانتحار.

110 http://mawhopon.net/ver_ar

لكن القضية عرفت مساراً آخر عندما اكتشف الجميع أن المقتول هو الدكتور «سعيد بدير»، الذى سارعت زوجته إلى اتهام أجهزة المخابرات التابعة للكيان الصهيونى والتابعة للولايات الأمريكية بقتله، استناداً إلى معرفتها بشخصية زوجها الراحل وقالت: «سعيد لا ينتحر أبداً».

العالم الذى عين ضابطاً فى القوات المسلحة المصرية، حتى وصل إلى رتبة مقدم وأحيل إلى التقاعد برتبة عقيد بناء على طلبه، العالم الحاصل على درجة الدكتوراه من إنكلترا، العالم الذى عمل فى أبحاث الأقمار الصناعية فى جامعة ليبزيخ الألمانية الغربية، وتعاقد معها لإجراء أبحاثه، العالم الذى ارتقى إلى المرتبة الثالثة من بين ثلاثة عشر عالما فى أندر تخصصات علم الفضاء، العالم الذى رفض عرضاً من وكالة الفضاء الأميركية «ناسا»، العالم الذى رفض الجنسية الأميركية، شعر بأن حياته وحياة أسرته باتت فى خطر، فكتب رسالة إلى الحكومة المصرية يطلب فيها حمايته.

هل ينتحر؟ هل ينتحر من يسعى لحماية حياته وحياة أسرته، حتى وإن كان ذلك على حساب أبحاثه وعلمه، هل ينتحر؟ من عمله وعلمه يتلخص فى التحكم، فلا يتمكن هو من التحكم فى نفسه لينتحر، هل ينتحر؟ من ولد فى وسط أبناء مصر من جميع الأطياف وجميع الثقافات، بدعابات وابتسامات، هل ينتحر؟.

فقد كان الدكتور «سعيد» مستمرا فى تجاربه فى ألمانيا نظرا لعدم إتاحة الإمكانات المادية اللازمة لأبحاثه فى مصر.

وهناك توصل المهندس الشاب إلى نتائج مذهلة، وقد نشرت أبحاثه فى جميع دول العالم، مما أدى إلى أن سعى باحثين أمريكيين فى أكتوبر عام ١٩٨٨م لأجراء أبحاث مشتركة مع عالمنا المصرى عقب انتهاء تعاقده مع الجامعة الألمانية، وهو الأمر الذى كانت الجامعة الألمانية ترفضه بصورة غير مباشرة وتسعى للتأثير على «سعيد بدير» إلى أن يلغى فكرة التعاقد مع الأمريكيين.

وفى تلك الفترة الزمنية، ما بين شد وجذب علمى، ما بين رغبة ألمانيا فى الاستئثار به، ورغبة أمريكا فى احتوائه، فقد تعرض أحد ابنائه لمحاولة قتل، وتعرضت وزوجته لعدة محاولات وليس محاولة واحده، وهنا أحس «سعيد» بالخطر، فأرسل زوجته وولديه إلى مصر، ثم أرسل خطابا إلى أكبر سلطة فى مصر يطلب حمايته، ولما ازداد التهديد والخطر قرر أن يعود إلى الوطن.

وذكرت زوجته أنها وزوجها وابناهما كانوا يكتشفون أثناء وجودهم فى ألمانيا عبثاً فى أثاث مسكنهم وسرقة كتب زوجها، وكان نتيجة لشعورهم بالقلق، أن قررت الأسرة العودة إلى مصر على أن يعود الزوج إلى ألمانيا لاستكمال فترة تعاقده ثم عاد إلى القاهرة فى ٨ يونيو عام ١٩٨٨، وحتى يبعد الأنظار عنه،

وحتى يوهم الأخرين بأنه ترك البحث العسكرى وتوجه إلى الصناعة والإنتاج، قرر أن يفتتح مصنعاً للإلكترونيات، وأعلن عن هذا المصنع، وطلب شركاء ومساهمين، وانهالت عليه العروض وكان أهمها عرض من ألمانيا.

هل يسعى «سعيد بدير» إلى استخدام التكنولوجيا الحديثة فى مصر؟، هل سَيُفَعّل «سعيد بدير» ما دأب على دراسته إلى واقع فى مصر؟، هل ستتمكن مصر من التحكم فى الإشارات المرسلة والمستقبلة من الأقمار الصناعية التى ترتع فى سمائها؟، هل ستدخل مصر جنبا إلى جنب، بل رأسا إلى رأس فى مجال الفضاء؟ هل ستحمى مصر سماؤها بأيديها وبعلمها؟ هل ستسمع مصر وترى ما يحاك بها؟ بل مع إمكانية التحكم فيه؟ هل وضحت الصورة لماذا قتل «سعيد بدير»؟

بعد ذلك الإعلان بأسبوع، تحديداً فى الإسكندرية فى ١٣ يوليو عام ١٩٨٩، تلقى قسم شرطة شرق فى الإسكندرية بلاغاً عن سقوطه من أعلى العقار.

هل ينتحر هذا العالم الذى ضحى بالإمكانيات الألمانية والتعاون الأمريكى لمجرد حماية أسرته وحماية حياته؟

وتستجيب مصر لطلبه فقد تلقى «سعيد» اتصالاً من السلطات فى القاهرة تطلب منه عودته فوراً إلى أرض الوطن، وللأسف لقى حتفه على هذه الأرض، حيث حلّ خبر وفاته كالصاعقة على أفراد أسرته، فاتحاً المجال للتساؤل حول مدى

إصرار أعداؤنا على تصفية علماؤنا، وحتى إن تم ذلك فى عقر أوطانهم.

قتل من كانت أبحاثه عن استخدام الليزر بتكلفة منخفضة لمقاومه الطائرات والصواريخ، قتل من سعى لتوفير سلاح دفاعى رخيص يُمَكن أى دولة نامية من امتلاكه، دفاعا عن نفسها ضد طائرات وصواريخ باهظة الثمن تنفرد بإنتاجها دولا معينة.

قتل من كان أخر بحث من أبحاثه عن كيفية التحكم فى قمر صناعى معادى، بل والسيطرة عليه للاستفادة منه فى أغراض شتى[١١١].

تحقيقات النيابة[١١٢]:

وبدأت النيابة تصغى جيدا...

ثم...

ليس انتحارا...

للوهلة الأولى اعتقد الجميع أن الدكتور «سعيد» انتحر بأن قام بفتح أنبوبة الغاز فى غرفة نومه، ثم قام بقطع شرايين يديه، ثم قفز من الطابق الرابع!!!

ولكن هذا التصور قد هدم تماما لأسباب منطقية.

111 http://captaintarekdreams.blogspot.com/
112 http://mawhopon.net/ver_ar

فمن غير المعقول أن يقوم شخص بثلاث محاولات للانتحار فى دقائق معدودة وكل محاولة بمفردها كفيلة بإنهاء حياته.

كما أن حالة الخوف الغريبة التى سيطرت عليه من أجل أولاده، فلا يعقل أن يقدم شخص على الانتحار وهو خائف على مصير أبنائه.

أضف إلى ذلك أنه قد عثر بين الأوراق التى عثر عليها داخل الشقة على مقدمة بحث علمى، فهل يمكن لعالم بدأ فى بحث قال عنه أنه البحث الأهم فى حياته أن ينتحر قبل أن يفرغ منه؟

الإجابة بالطبع لا.

إذن هناك من قتل الدكتور «سعيد».

والسيناريو الأقرب للتصديق أن شخصين أو ثلاثة اقتحموا شقته وقيدوه ثم اقتادوه إلى غرفة نومه وقام أحدهم بقطع شريان يده بينما أحضر الآخر أنبوبة الغاز إلى غرفة النوم وفتحها، وعندما فاضت روح العالم الكبير إلى بارئها، ألقى الجناة الجثة من البلكونة، هذا السيناريو ليس غريبا فقد تكرر بعد ذلك فى شقة الدكتور «جمال حمدان» العالم المصرى الكبير بعد سنوات.

لماذا قتل؟

عندما تؤدى أبحاثه، إلى تمكين مصر من تحدى أعتى الأسلحة الفتاكة، فيجب أن يقتل.

عندما تؤدى أبحاثه، إلى تمكين مصر من إنتاج أسلحة دفاعية فيما يؤدى إلى خسارة افتصادية لدولا اعتبرت أن تجارة السلاح مصدرا افتصاديا لها، فيجب أن يقتل.

عندما تؤدى أبحاثه، إلى تمكين مصر من الخروج من دائرة الاعتماد على الآخر فى التسليح، فيجب أن يقتل.

عندما تؤدى أبحاثه، إلى إنهاء التفوق العسكرى لدولا بعينها، وإنهاء سيطرتها، فيجب أن يقتل.

فهل تستمر أبحاثه؟

وما زالت «إيزا» تبحث عن قاتله، ولن تتوقف.

ومازال «حور» يعد نفسه، لينتقم.